

بركات دماء الشهداء: الإمام الحسين نموذجاً

أهل الجنة، فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب، خير منزل، فيقول: سل وتمن، فيقول: وما أسألك وأتمنى، أسألك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل في سبيلك عشر مرات.

وعن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»^(٨).

٢- بركات دماء الإمام الحسين
ﷺ: لا يمكن لأحد من بني البشر أن يدرك ويحصي بركات الدم الحسيني والثورة الحسينية، وآثارها ونتائجها في تاريخ الإسلام، فقد أرسى دم الإمام الحسين ﷺ وأهله وأصحابه على مدار التاريخ مساراً وضاءً لكل الأحرار في العالم، نتوقف مع بعض مبادئه وبركاته:

أ- هيات منا الذلة: ليست شعاراً شكلياً رفعه الإمام الحسين ﷺ، بل هو نهج رسمه لكل الأجيال القادمة، بأن الخضوع للظالم لا مكان له في قاموس الحسينيين، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. فقد أعلن ﷺ عندما توضّحت نوايا الغدر والخذلان والإصرار على محاربة الإمام ﷺ وطاعة يزيد الفاسق قائلاً: «فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبيذة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحزفي الكتاب ومطفيئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي

إكراماً له وتكون من الشهادة لأنه يأتي يوم القيامة ومعه شاهد يشهد له وهو دمه وجرحه. ويقترب معنى الشهادة بتضحية المرء بنفسه في سبيل الله، في كل موقف يراد منه الدفاع عن الدين لإعلاء كلمة الله، ولهذا كانت الشهادة حياة كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢). و﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣).

وهذا ما نفهمه من سيرة أهل البيت ﷺ حيث صرّحوا بحب الشهادة. ورد عنه ﷺ: «والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»^(٤)، وعن علي ﷺ: «... فوالله إني لعلی حق واني للشهادة لمحّب»^(٥).

وفي الأخبار الشهادة في سبيل الله تمحو جميع الذنوب، ويدل على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ: «الشهادة تكفر كل شيء إلا الدين» و«أول ما يهراق من دم الشهيد يغفر له ذنبه كله إلا الدين»^(٦)، وعن الإمام الصادق ﷺ: «من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته»^(٧). وروي عن رسول الله ﷺ: «يؤتى الرجل من

محاور الموضوع الرئيسية:

- فضل الشهادة وكرامة الشهداء.
- دم الحسين: مدرسة هيات منا الذلة.
- دم الحسين: مدرسة التضحية والشهادة لا بيعة الظالمين.
- دم الحسين: مدرسة الثبات على الحق.

الهدف:

التعرف على بركات دماء الشهداء ولاسيما الدم الزكي لأبي عبد الله الحسين ﷺ.

تصدير الموضوع:

روي عن رسول الله ﷺ: «لشهادة عند الله ست خصال: يغفر له في أول ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه. وفي لفظ: من أهل بيته».

في فضل الشهادة وكرامة الشهداء:

الشهادة درجة يرفع الله إليها من يتخير من عباده، وإذا أراد الله أن يرفع درجة إنسان اختاره شهيداً، قال الله تعالى: ﴿وَيَنْخِذُ مِنْكُمْ شَهِدًا﴾^(١). والشهيد من الشهود أي الحضور، بمعنى أن الملائكة تشهده حين يُقتل،

إليه يصعد الكلم الطيب

المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصيح وتصبحون وننظر وتظنون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة». إذاً فما دام الإمام الحسين عليه السلام لا يعطي البيعة ليزيد مهما تكن الأسباب، فلا طريق للحسين عليه السلام إلا الشهادة، وقد كان موقف الإمام عليه السلام في الامتناع من البيعة ليزيد موقفاً علنياً وصريحاً وواضحاً لا يشك فيه أحد، يقول الإمام عليه السلام لمحمد بن الحنفية (أخيه): «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً».

- الشهادة موت جميل:

ولما تناهت إليه الأنباء بان يزيد دسّ الرجال لاغتياه وسفك دمه وهو في مكة قبل مسيره إلى العراق. ألقى خطبة جاء في مقدّماتها: «خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لافيه، كاني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»^(٥). وفي هذا دلالة على الوعي وطلب الشهادة واستقبال الموت في سبيل الله وان الشهادة جميلة عند أعظم الرجال كجمال القلادة في جيد الفتاة.

وفي موقف آخر قال عليه السلام: «لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً». بهذه الصورة الرائعة سنّ الإمام الحسين عليه السلام سنة الإباء لكل من يدين بقيم السماء وينتمي إليها ويدافع عنها، وانطلق من هذه القاعدة ليغيّر الواقع الفاسد اليقين بالموت لا يضعف الهمم.

(٥) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦، مقتل الحسين للمقرم: ١٩٣.

معيناً»^(٢).

ومع هذا لم يتبدّل شيء في مواقف الإمام الحسين عليه السلام من بني أمية التي تمثل أكبر مصاديق الجور والظلم في الدين والسياسة والحكم، وإدارة شؤون الرعية وغيرها، بل إن ذلك زاده إيماناً وقوة في الدفاع عن الحق، و أداء التكليف الإلهي في مواجهة الظالمين فإن المرحلة بنظر الإمام الحسين عليه السلام، ينطبق عليها قوله: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٣).

ج- شعار مدرسة التضحية والشهادة لا بيعة للظالمين:

كتب يزيد فور موت أبيه إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وكان والياً على المدينة من قبل معاوية - أن يأخذ على الحسين عليه السلام بالبيعة له ولا يرخص له في التأخّر عن ذلك. وذكرت مصادر تاريخية أخرى أنّه جاء في الرسالة: إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير فخذهما بالبيعة، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وأبعث إليّ برأسيهما وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم^(٤)، فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بصراحة قائلاً: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس

(٢) بحار الأنوار: ٤٤.

(٣) وقعة الطف: ١٧٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٦.

(٤) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٥.

عرة الأوصياء...». ثم قال عليه السلام: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والدلّة، وهيهات منّا الدلّة! ياأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حميّة ونفوس أئيّة لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...»^(١).

ب- مدرسة الثبات على الحق:

صرّح الإمام الحسين عليه السلام في العديد من المناسبات عن علمه المسبق بتصميم بني أمية على قتله، فقد صرّح لأخيه محمد بن الحنفية قائلاً: «لو دخلت في جُعر هامة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتى يقتلونني».

وقال عليه السلام لجعفر بن سليمان الضبعي: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه (يعني قلبه الشريف) من جوفي». وروي أنّه لمّا عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة (رض) فقالت: يا بني لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك يقول: يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء. فقال لها: «يا أمّاه وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإنّي أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرباتي وشيعتي... وقد شاء أن يرى حرّمي ورهطتي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٦٠٣.